

	
	
-	
-	
-	
	
	
	
	
-	
-	
	
-	-
-	-
-	-
	-
	-
-	-



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

د. أحمد بن عبدالله العجلان

مقدمة :

إن الاهتمام بالطفل والتفاعل البناء في حياته ، الذي يرتبط بأدوار مناسبة مع الآخرين و مع أسرته ومع المجتمع ضرورة أساسية في تحقيق التكيف الاجتماعي للطفل والتوازن الشخصي في حياته، ويعتبر الاهتمام بالطفل من أهم مجالات الاستثمار في محيط الأسرة بشكل خاص والوطن بشكل عام، لاسيما إذا علمنا أن سكان الوطن العربي يبلغ نحو ٢٨٠ مليون نسمة تشكل الفتة العمرية التي من ١٧ سنة فأقل ما نسبته ٤٦,٧% من إجمالي عدد السكان.

المحتوى :

هناك مجموعة من السياسات العامة تقوم بها بعض الدول العربية في مجال رعاية الأسرة والطفولة ومن أهم هذه السياسات ما يلي :

- بذل عناية خاصة ببرامج تنمية الأسرة ورعايتها لإشباع حاجة أبنائها الاجتماعية والتربوية والثقافية والترويحية.
- التأكيد على التوجيه والإرشاد الاجتماعي والأنشطة الوقائية للحد من انتشار المشكلات والسلوكيات الاجتماعية الخاطئة.
- إنشاء وحدات اجتماعية ميدانية ، وتدعيمها بالمختصين والمختصات المؤهلين إجتماعياً ونفسياً وطبياً.
- دعم الجهود التوعوية للحد من العوامل المسببة في التفكك الأسري.

– توعية الأسرة وإرشادها بدورها الفاعل في تنشئة أبنائها.
– مساعدة الأسرة في حل ما قد يعترض مسيرتها من مشكلات اجتماعية.
– إصدار النشرات الإعلامية التوجيهية الإرشادية عن الأساليب التربوية الصحيحة.

– الاستمرار في تنظيم البرامج الوقائية وتوعية أبناء الأسرة بمخاطر المخدرات. (المصدر : مؤسسات وبرامج رعاية الأسرة في دول مجلس التعاون : ٢٠٠٢م)

وحماية أفراد الأسرة وخاصة الأطفال من العنف الواقع عليهم الذي أضحى سمة مميزة بارزه في المجتمعات الحديثة : ومعلم من معالم المجتمعات الإنسانية المتحضرة . والعنف ضد الحلم والرفق، وقد وردت آيات وأحاديث في الشرع المطهر تنهى عن العنف وتأمّر بالعفو والحلم. قال الله تعالى

آل عمران آية ١٣٤). وقول الله عز وجل

(سورة الأعراف آية ١٩٩). وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس (إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة). وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم (أوصني قال : لا تغضب، فرددتها مراراً قال لا تغضب).

وتجتمع الشرائع السماوية على نبذ العنف بكل أشكاله وصورة سواء داخل نطاق الأسرة أو في محيط المجتمع. وسواء كان ضد الأطفال أو النساء أو الرجال. وهناك عدد من الإرشادات تخبرنا بها الشريعة الإسلامية السمحة حول هذا الموضوع على سبيل المثال ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله "عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش" وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله "علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف". ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم "إن الله رفيق يحب

الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه".

وفي ظل التراث الإسلامي المضيء حول العنف، والتعامل الإنساني بشكل عام، وأيضا في ظل السياسات العامة في مجال رعاية الأسرة والطفولة السابقة الذكر في بعض الدول العربية، إلا أن هناك بعض الممارسات من قبل الوالدين والمربين في التعامل مع الأطفال.

حيث يشير كل من الحامد والرومي (١٤٢٢ هـ — ٢٠٠١ م). إلى بعض الأساليب المستخدمة في تنشئة الأبناء في الماضي ، وإلى عهد قريب، فإن معظمها يتسم بالشدّة والصرامة والتسلط والضرب في الأسرة. وعلى الرغم من ازدياد فرص التعليم وتطوره بالشكل الذي بدأت معه الأمية تنحسر وتتقلص، فإنه مازال هناك أساليب غير سوية تمارس في تنشئة الأبناء ، حيث أوضحت بعض الدراسات أن أغلب تلك الأساليب تمثلت في الإهمال، والتسلط، واختلاف المعاملة الوالدية ، والقسوة، والعقاب، وعدم استخدام وسائل مناسبة للنصح، والتدليل.

إن الخلافات الزوجية والتسلط وحدوث فجوة بين الزوجين تؤدي إلى سوء التوافق لدى الأطفال الذي قد يؤدي إلى اضطراب في شخصيتهم مما يؤدي إلى تكوين أسره غير سوية وبالتالي تفككها بالانفصال أو الطلاق، بينما أساليب المعاملة الزوجية القائمة على الحب والتعاون بين الزوجين تساعد في مواجهة مشكلات الأولاد بحيث تؤدي إلى شعورهما بالأمن والاطمئنان مع الآخرين. وعلى هذا تقوم أساليب المعاملة الزوجية بين الزوجين بدور كبير في مدى توافق الزوجين ومن ثم الأطفال فالأساليب غير السوية القائمة على التسلط والقسوة والنبذ والإهمال والتدليل والحماية الزائدة تلعب دوراً كبيراً في سوء توافق الزوجين مما يؤدي إلى قلقهما واضطرابهما النفسي والاجتماعي (الخولي: بدون تاريخ نشر).

قد تعتبر الخلافات الأسرية مقدمة للعنف الأسري ، وليس بالضرورة يصاحب أو يتبع الخلافات الأسرية عنف .. فربما أنتهى الخلاف وحل المشكلة الأسرية بين الزوجين أو المتعلقة بالأولاد بالحوار والنقاش. وفي واقع الأمر إن كل عنف أسري خلاف وليس كل خلاف عنف، وإذا كانت الخلافات الأسرية تعتبر مقدمة للتفكك الأسري، والذي يعتبر أحد نتائج العنف الأسري، فقد حدد بعض الباحثين ثلاثة أنواع للتفكك الأسري، التفكك العاطفي، والتفكك المادي، والتفكك الخلقي (الحامد : ١٤١٥ هـ). والإنسان في أخلاقه وسلوكه وتفكيره هو ابن ثقافته ومجتمعه فهو إلى حد بعيد صورة عن البيئة التي يعيش فيها والمحيط الاجتماعي الذي تربي فيه فإذا كانت البيئة الاجتماعية التي عاش فيها هذا الطفل يسود فيها مبادئ سلوكية سليمة مستمدة من الدين الحنيف والعقل الرشيد فان عملية التنشئة تكون سليمة، وبقدر ما تكون المبادئ والأسس غير صالحة أو فاسدة بقدر ما تنعكس صورتها على تصرف وسلوك الطفل.

وتمتد وظيفة الأسرة المرتبطة بعملية الضبط الاجتماعي إلى قيامها بنقل القيم السلوكية لأطفالها ابتداء من مرحلة الحضانه إلى المرحلة التي يستقل الفرد فيها عن أسرته. ولذا إذا قامت الأسرة بأداء رسالتها العظيمة في التنشئة الأسرية والاجتماعية بترسيخ القيم الأخلاقية لدى الأطفال فإنها ستسهم في حمايتهم من الوقوع في الانحراف والمخاطر بشرط أن يصاحب ذلك قدوة صالحة من الأبوين والمحيطين بالفرد داخل الأسرة. ولذلك فأن فشل بعض الأسر في قيامهم بالتنشئة الأسرية على أسس تربوية واجتماعية أدى إلى وقوع الأفراد من أحداث وأطفال في الوقوع بانحرافات أخلاقية وسلوكية (الحامد والرومي : ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م).

والأسرة هي التي يتم فيها اكتساب العادات والاتجاهات والتوقعات وطريقة الحكم على الأمور وتشكيل أنماط السلوك وتعتبر الأسرة السلاح القوي الذي يستخدمه المجتمع في عملية الضبط الاجتماعي لأن الفرد داخل الأسرة في سنواته الأولى سهل التطبيع ويقبل التوجيه.

ويصور هذا المعنى أبو حامد الغزالي حيث يقول "الولد أمانة عند والدية، وقلبه الطاهرة جوهرة ساذجة خالي من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة أبواه وكل معلم ومربي، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القائم عليه والوالي له" (الغزالي : بدون سنة نشر).

ويذكر الدكتور بول كولمان Paul Coleman أن إحدى الدراسات التي أجريت في جامعة (إلينوي Illinois) أن هناك ثلاث طرق يتصرف بها الآباء عندما يتشاجر أبنائهم . الأولى : هي تعليم الأطفال استراتيجيات معينة في التعامل كالتفاوض، والحلول الوسطى وحل المشكلات. والطريقة الثانية : هي معاقبة الأطفال . والطريقة الثالثة : هي تجاهل المشاجرة . وبالرغم من إيمان الآباء والأمهات بأن تجاهل المشاجرة هو أقل الطرق فائدة فمعدل استخدامهم لهذه الطريقة يزيد ثلاث مرات عن استخدامهم للطريقتين الأخرين، وعندما يلجأ الآباء إلى معاقبة الأطفال فهم يفعلون ذلك بسبب عدم ثقتهم في قدرتهم على تعليم أبنائهم الطرق الفعالة لحل مشكلاتهم كالتفاوض وغيرها. لا بسبب اعتقادهم أن العقاب هو الأسلوب الأمثل. وخلاصة القول هي أن الآباء يحتاجون إلى الثقة في أنفسهم وقدراتهم حتى يتمكنوا من مساعدة أبنائهم على تعلم كيفية حل مشكلاتهم بأنفسهم وهذا يحتاج إلى وقت وتدريب إلا أن الفائدة منه تستحق العناء في واقع الأمر (كولمان : ٢٠٠١ م).

وينظر إلى العنف على أساس أنه نمط من أنماط السلوك ، وينظر إليه كظاهرة أيضا وللعنف عدة أشكال منه البسيط الذي لا يتعدى إثارة الغضب، ومنها الشديد الذي يصل إلى حد إنهاء الآخر (التير : ١٩٩٧ م).

وفي الإحصاءات الغربية أشارا (Bifulc and Moran : 1999) أن هناك واحدة من كل أربع نساء يتعرضن لإيذاء وإهمال قاس وخطير.. وضعف هذا الرقم يتعرضن للاكتئاب في حياتهن عند الكبر. بل إن العنف الأسري انتشر وأصبح مقبولاً لدى العديد من البيوت في المجتمع الأمريكي (Pryor and Others : 2000) ومعظم هذا العنف الغربي موجه للنساء من قبل الرجال ، حيث تشير الأرقام أنه ٩٤ % من العنف الأسري الخطر يقع على المرأة من قبل الرجل (Bennett: 1995).

وتشير الإحصائيات العالمية أنه سُجِّل ٤ مليون حالة عنف عائلي ضد المرأة عام ١٩٩٨ ويكلف علاج هذا العنف الأسري ما بين ثلاثة إلى خمسة ملايين دولار سنوياً (دلتافو : ١٩٩٩م).

وقد قامت (صحيفة الوطن السعودية عام ١٤٢٦ هـ) باستفتاء حول أسباب وقوع العنف الأسري في المملكة العربية السعودية وقد ظهر أن حوالي ٣٢ % تقريباً من عينة المبحوثين أن قلة وعي الزوج بواجباته الزوجية أحد أسباب وقوع العنف، و ٢١ % تقريباً قالوا السبب الثقافي الأسرية والتقاليد والعادات، وجاءت تدخلات الأهل كانت بواقع ٧% تقريباً، و ٦% تقريباً قالوا سبب العنف يرجع إلى خلاف بسبب الراتب.

وأوضحت إحدى التقارير الرسمية عن العنف ضد النساء العربيات عن وجود نقص فادح في المعلومات حول مدى انتشار هذه الظاهرة مشيراً إلى أن المسح الديموغرافي والصحي لعام ١٩٩٥م يعتبر من أوائل الدراسات الميدانية لبحث مدى انتشار ظاهرة العنف ضد النساء (الباهي وعبدالنواب : ٢٠٠١ م).

وتدلل بعض الدراسات إلى أن الأسر التي يحدث فيها عنف أسري غالباً ما يكون بها اختلال وظيفي مثل القلق الأسري والاضطرابات الزوجية وسوء التكيف وإهانة وضرب الأطفال . وغني عن البيان أن توتر العلاقات داخل الأسرة ينعكس على جميع الأطفال في الأسرة، لا الأطراف المشاركة في النزاع فقط ، فمثلاً المتعرضين للعنف الأسري والمشاهدين له خاصة الأبناء تتناوبهم مشكلات سلوكية ونفسية تنعكس على علاقاتهم داخل وخارج المنزل ومن ثم يجدون صعوبة في المحيطين بهم (خليل : ١٩٩٩م) . وذلك ما تمتاز به الشخصية في الطفولة من مرونة وقابلية أسرع في التعلم والتغيير والتبديل، وتأكيد حقيقة دور الأسرة وأهميتها في تحديد السلوك وتشكيل الشخصية.

ولقد أظهرت العديد من الدراسات أن الأفراد الذين يعيشون بأسر يسودها العنف أكثر قابلية أن يكونوا هم أنفسهم عدوانيين في تصرفاتهم . والأزواج الذين يشبون في أسر يسودها العنف يكون احتمال ضربهم لزوجاتهم عشرة أضعاف الرجال الذين يشبون في أسر لا يسودها العنف Nonviolent Families. يظهر من ذلك أن الأطفال يتأثرون أكثر بالسلوك العدواني للآباء والأمهات، ويكتسبون العنف أكثر من تأثرهم بالنصائح التي توجه لأغلبهم بعدم ممارسة العنف مع الآخرين (حلمي : ١٩٩٩م)

أما بالنسبة لوقوع العنف الأسري داخل الأسرة الواقع على الأطفال ، فإن الأرقام تظهر صورة مفرجة، على سبيل المثال ما أظهرته التقديرات العلمية أن حوالي ١٢٠٠ طفل توفوا في عام ١٩٨٩ كنتيجة للإيذاء أو الإهمال، وفي عام ١٩٩١ في مدينة نيويورك وحدها ٢٧ طفل قتلوا كنتيجة للإيذاء أو الإهمال (Alexander and Alexander : 1995)

وأكدت أكثر النظريات شيوعاً كما تستعرض (إجلال حلمي : ١٩٩٩م) نقلاً عن (sears et al.) . افتراض أن الأشخاص يتعلمون العنف

بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى . وأن عملية التعلم هذه تتم داخل الأسرة سواء من خلال الثقافة الفرعية أو الكلية . فبعض الآباء يشجعون أبناءهم على التصرف بعنف مع الآخرين في بعض المواقف، ويطالبونهم بألا يكونوا ضحايا للعنف في مواقف أخرى ، والبعض الآخر ينظر للعنف وكأنه الطريقة الوحيدة للحصول على ما يريدون، بل إن بعض الآباء يشجعون الابن الصبي على التصرف بعنف عند الضرورة. وتفيد بعض البحوث أن استخدام العقاب البدني رغم أنه قد يكون استجابة للتعبير عن رفض العنف الذي يمارسه الأطفال، يشجع سلوك العنف بين الأطفال . والفرضيات الأساسية لنظرية التعلم في دراسة العنف الأسري تبرز في عدد منها ما يلي:

- (١) إن العنف الأسري يتم تعلمه داخل الأسرة والمدرسة ومن وسائل الإعلام.
- (٢) إن العديد من الأفعال الأبوية العنيفة تبدأ كمحاولة للتأديب والتهذيب.
- (٣) إن العلاقة المتبادلة بين الآباء والأبناء ، والخبرات التي يمر بها الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة ، تشكل شخصية الفرد عند البلوغ لذلك فإن سلوك العنف ينتقل عبر الأجيال.
- (٤) إن إساءة معاملة الطفل يؤدي إلى سلوك عدواني تبدأ بذوره في حياته المبكرة ويستمر في علاقته مع أصدقاءه وإخوته، وبعد ذلك مع والديه ومدرسية ومجتمعه.
- (٥) إن أفراد الأسرة خاصة الأقل قوة - يصبحون أهدافا ملائمة للاعتداء الناتج عن إثارة البغضاء بينهم.

وهناك بعض المؤشرات المميزة التي تدل على العنف الواقع ضد الأطفال وكذلك المتلازمة معها ويمكن أن تحدد في النقاط الرئيسة التالية كما يذكر (Sheafor : 1997) وزملائه ص ٣٩٨-٤٠٠.

- مؤشر العنف الجسدي Physical Abuse يظهر فيه في وجود خدوش لدى الطفل من وقت لآخر، وكذلك وجود إصابات معينة مثل الحرق بالسجائر وآثار العض ومشكلات سلوكية واضحة وازدياد الشكوى والتذمر، والأطفال الذين يتعرضون لهذا النوع من العنف يميلون باستمرار إلى لفت الانتباه ويستجيبون بغضب وعدوانية يمكن ملاحظتها من قبل المختصين وكذلك أوليا الأمور.

- مؤشر الإساءة الجنسية Sexual Abuse ويظهر المشكلات السلوكية، وفقدان الرفاق والأصدقاء وكذلك ضعف المشاركة في الأنشطة المدرسية والغياب المتكرر عن المدرسة أو الهروب من المدرسة أو المنزل وظهور حالة الشعور بالاكتئاب ومشكلات في عادات الأكل، ووجود تقلبات في المزاج.

- مؤشر الإهمال Neglect تبدو على الطفل في هذه المرحلة حالة سوء التغذية ونقص الوزن، ورداءة الملابس والمظهر، وسرقة الحاجات الخفيفة، واختلاف في مواعيد النوم الاعتيادية وتأخر في النمو، وعدم المبالاة، كما يبرز في هذه المرحلة مشكلات متعلقة في المدرسة مثل كثرة الغياب وإهمال الواجبات المدرسية وأحياناً الانقطاع عن المدرسة، كما أن الطفل لا يحمي نفسه من الأشياء الخطرة (مثل التعرض للخطف أو الاغتصاب) وبشكل عام تظهر بوضوح علامات اضطراب السلوك لدى الطفل الذي يتعرض للإهمال من قبل الأسرة.

- وهناك عدد من استراتيجيات التدخل العلاجي الأسري للحالات التي تتعرض للعنف كما يشير طلعت منصور (٢٠٠٤م) منها الإستراتيجية

الإعلامية والتي تهدف إلى زيادة وعي أفراد المجتمع وأفراد الأسرة والوالدين ، كما تشمل هذه الإستراتيجية القيام بالرسائل الإعلامية التوجيهية والإرشادية التي تبين خطورة وحجم الظاهرة وتأثيرها السلبي على حياة الطفل وتركيبه الأسرة والمجتمع بشكل عام. ويحدد طلعت منصور بعض الخطوات الإستراتيجية للحالات التي تتعرض للعنف. الخطوة الأولى "خدمات التدخل السريع" والتي تهدف إلى حماية الأطفال من المخاطر والعمل على ضمان سلامتهم، وتقديم الرعاية الصحية الأولية، كما تتضمن هذه الخطوة الاتصال بالجهات المعنية بالعنف ضد الأطفال لتقديم الخدمات المناسبة حسب كل حالة وخطورتها. الخطوة الثانية "خدمات الرعاية الصحية " والتي تهتم وتعتني في الحالات التي تتعرض للإصابات المبالغة مثل الكسور والرضوض والحروق في الجسم . الخطوة الثالثة "خدمات الرعاية النفسية " وفي هذه المرحلة يتم معالجة الحالات التي تتعرض للصدمة النفسية وتقديم الخدمات للأطفال الذين يعانون من الاضطرابات السلوكية والشخصية.

- وفي دراسة الباحثة منيرة آل سعود (١٤٢١هـ حول إيذاء الأطفال في المملكة العربية السعودية تقدم عدد من التوصيات المهمة في مجال العنف الموجه للأطفال منها ما يلي :

- ❖ نشر الوعي بين أفراد المجتمع حول العنف ضد الأطفال.
- ❖ تصميم برامج خاصة موجه لتوعية الأسر بأهمية دورها في حماية الطفل من الإيذاء.
- ❖ تعليم الأطفال أساليب الدفاع عن النفس ومواجهة العنف.
- ❖ نشر الثقافة الدينية حول حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية وإصدار الفتاوى المتعلقة بإيذاء الأطفال.

-
- ❖ العمل على سن القوانين والتشريعات الخاصة بالتعامل مع حالات العنف ، وإلزام الجهات المعنية بالتبليغ عن حالات العنف ضد الأطفال .
 - ❖ وضع آلية مناسبة للتعاون بين الجهات الأمنية والجهات ذات العلاقة بالأطفال مثل المستشفيات والمدارس ودور الرعاية الاجتماعية .
 - ❖ العمل على تدريب العاملين في المؤسسات التربوية والصحية والاجتماعية على اكتشاف حالات العنف ضد الأطفال.
 - ❖ المرونة في الإجراءات الإدارية وتحويل من يتعرض للإيذاء أو العنف إلى الجهات المختصة. وإيجاد آلية موحدة في المستشفيات للتعامل مع حالات إيذاء الأطفال.
 - ❖ وضع برامج لتدريب الممارسين على كيفية التعامل مع حالات الإيذاء .
 - ❖ تفعيل دور الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين في التعامل مع حالات العنف ضد الأطفال.
 - ❖ إجراء المزيد من الدراسات والبحوث حول ظاهرة العنف ضد الأطفال .
- ويمكن أن يضاف إلى التوصيات سالفة الذكر أيضا عقد الدورات القصيرة للإباء والأمهات وخاصة الأسر حديثة التكوين لتعليمهم وتدريبهم على المهارات اللازمة في فن التعامل مع الأطفال والمراهقين.

الخاتمة

وبعد استقراء عدد من الدراسات مثل دراسة (Williams, 1997) وغيرها تخرج الباحثة (إجلال حلمي : ١٩٩٩م) بعدد من الدروس المستفادة من الناحية المنهجية والنظرية منها :

- (١) أن العقاب البدني في الصغر يؤثر في العلاقات الحميمة.
- (٢) أن العقاب البدني سلوك فعال يزيد من احتمالات السلوك العدواني والاجتماعي.
- (٣) زيادة الاندماج الأبوي ينقص من علاقة العقاب البدني بالعدوانية والعنف نحو الأصدقاء بعامة.
- (٤) أن الأطفال الذين يتعرضون للعقاب البدني يتعلمون أن العنف يغير من السلوك.
- (٥) أن مشاهدة الأطفال للعنف الأسري سواء نحو الزوجة أو العقاب البدني للأطفال يعلمهم أن ضرب الآخرين (الذين نحبههم وعلى علاقة حميمة بهم) أمر مشروع وفعال وقد يؤدي ذلك إلى ممارستهم العنف مع الزوجة ، كما يؤدي إلى ممارستهم العنف مع آبائهم الكبار في السن .
- (٦) أن الأطفال ضحايا العنف، والذين شاهدوه داخل أسرهم قد ينهار لديهم الشعور بتقدير الذات بسبب مشاعر فقدان القدرة على حماية أنفسهم وشعورهم بالخجل والمهانة.
- (٧) إن مثل هؤلاء الأطفال معرضون لمخاطر عديدة ومشاكل في المدرسة، وهم معرضون للإدمان والاعتصاب الجنسي والهروب من المنزل والانتحار، وقد يصبحون هم أنفسهم مصدرا للعنف تجاه الآخرين.

- (٨) إن تعرض الأطفال ومشاهدتهم للعنف داخل المنزل يعرضهم لصدمة عقلية Traumatic Disorder تؤثر على نموهم العقلي والنفسي والانفعالي كما تؤثر على سلوكهم عند البلوغ.
- (٩) وبشكل عام يقع على المؤسسات الاجتماعية والأمنية والإعلامية والقضائية والتربوية دور كبير في التصدي لظاهرة العنف ضد الأطفال فينبغي على المؤسسات الاجتماعية أخذ زمام المبادرة في مجال الحماية الاجتماعية، والمؤسسات الأمنية في الإبلاغ عن الحالات ، والمؤسسات الإعلامية في زيادة الوعي وتنمية الحس الاجتماعي حول الموضوع ، والمؤسسات القضائية في الدفاع عن الأطفال أصحاب القضية، والمؤسسات التربوية إعادة الخطاب التربوي القديم ، واستبدال المثال المشهور (ضرب زيد عمرو) بكلمة أخرى مثل (أعطى أو قبل زيد عمرو) إلى غير ذلك من الكلمات التي تدل على العطف والحنان لا على العنف والإيذاء.

والله من وراء القصد

المراجع المستخدمة

الباهي، زينب وعبدالمتواب، ناصر. (٢٠٠١م) "دور الخدمة الإجماعية في التعرف على الضغوط التي تدفع الزوجة لممارسة العنف نحو الزوج" في المؤتمر العلمي الرابع عشر. الخدمة الإجماعية بين الجهود التطوعية والإحتراف المهني . جامعة حلوان.

التير، مصطفى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) العنف العائلي. الرياض : أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

الحامد، محمد (١٤١٥ هـ) مقياس مركز أبحاث مكافحة الجريمة للتماسك الأسري. الرياض : وزارة الداخلية، مركز أبحاث مكافحة الجريمة.

الحامد ، محمد والرومي ، نايف (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) الأسرة والضبط الاجتماعي. الرياض : مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود. حلمي، إجلال. (١٩٩٩م) العنف الأسري . القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

خليل ، محمد بيومي . (١٩٩٩م) سيكولوجية العلاقات الزوجية. القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. الخولي ، سناء . (بدون تاريخ نشر) الزواج والعلاقات الأسرية. القاهرة . دار المعرفة الجامعية.

دلتافو، أليسا (١٩٩٩م) العنف العائلي : دمشق : دار المدى. (مترجم بواسطة نوال لايقة).

آل سعود ، منيرة (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م) إيذاء الأطفال : أنواعه وأسبابه وخصائص المتعرضين له . القاهرة : الثقافة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع.

صحيفة الوطن (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) العدد ١٦٠٩.

الغزالي ، محمد (بدون تاريخ نشر) إحياء علوم الدين . بيروت : دار
الكتب العلمية.

كولمان ، بول (٢٠٠١م) كيف تقولها - ل أطفالك. اللغة المناسبة
التي تساعدك على حل مشاكل أطفالك وتهدئة مشاعرهم وتعليمهم
القيم. الرياض : مكتبة جرير . مترجم بواسطة مكتبة جرير.
طلعت ، منصور (١٤٢٤ هـ) طفولة في خطر رؤية إستراتيجية
لمواجهة ظاهرة الإساءة للأطفال . المجلس العربي للطفولة والتنمية.

Alexander, R and Alexander, C (1995) "Criminal Prosecution of
Child Protection Workers". Social work. Vo. 40, (6). P. 809-814.

Bennett, L (1995) Substance Abuse and the Domestic Assault of
Women. Social work. Vo. 40, (6). P. 760-771.

Bifulco, A and Moran, P (1999) Research into Women Experience
of Neglect and Abuse in Childhood and Adult Depression. London :
Routledge.

Pryor, C. Sarri, R. Bombyk, M and Nikolovska, L (1999) "Urban
Youth's Views of Violence in Their Communities : Implications for Schools
". Social Work Education. Vo. 21, (2) P. 72-87.

Sheafor, B. Horejsi, C. Horejsi, G (1997) Techniques and Guidances
for Social Work Practice. Boston : Allyn and Bacon.

د. نزار بن حسين الصالح

كثيراً ما يشتكي الآباء والأمهات من صعوبة التعامل مع أطفالهم، وكثيراً ما يحتار الوالدان في اختيار الأسلوب مع الأمتل في توجيه أطفالهم، وصعب الأمر كثيراً إذا لم يستطع الوالدان التحلي بالصبر والأناة وبدأوا في استخدام العنف مع أطفالهم لوقف سلوكياتهم غير المرغوبة.

هل سلوك أطفالنا وراثي أم مكتسب؟

الأطفال يولدون ولديهم صفات ورثوها من آباءهم، مثل لون البشرة، ولون الشعر، والطول، ونسبة الذكاء، والميل للخجل، وكذلك الميل للعنف مع الآخرين، والخوف من الأصوات العالية، وهكذا فكثيراً من الصفات نرثها من آباءنا، وهناك صفات تكتسبها من البيئة التي نعيش فيها، فالخوف من الحشرات، أو الخوف من الظلام، أو الخوف من الأطفال الأشقياء كل ذلك يتعلمه الطفل وتدخل في تركيبته شخصيته، وكذلك يكتسب الطفل الجرأة في التعامل مع الآخرين، والقدرة على التعامل مع الأمور المختلفة التي مر بها وأنقنها مثل حب المدرسة إذا أتقن التعامل مع المواد الدراسية، وعدم الخوف من اللعب في الأماكن المرتفعة إذا أتقن هذا النوع من اللعب، ولم يمر بخبرات سلبية تعيق لعبه وسروره. إذاً نحن نرث بعض الصفات من والدينا ونكتسب البعض الآخر، وهذا يرجع بشكل كبير على طبيعة التربية التي يوفرها لنا والدا، ونوع البيئة التي نعيش فيها:

هل يتم تعلم السلوك منذ بداية الطفولة أم في مرحلة لاحقة؟

الأطفال منذ ولادتهم يبدأون في ملاحظة ما يدور من حولهم، وهذه الملاحظة تتطور يوماً بعد يوم، فالأم كثيرة الاتصال بالطفل تنشأ بينها وبين طفلها علاقة قوية أساسها المودة والرحمة ، وتلبية جميع المطالب التي يحتاجها طفلها. فيتعلم الطفل كيف يبادل والدته الحب، والمودة ويتعلم متى يبكي بكاء الدلع، ويتعلم بكاء الحاجة، وبكاء الألم. إذا فالطفل منذ نعومة أظافره وهو يتعلم كيف يتعامل مع الآخرين، وكيف يتصرف في المواقف المختلفة.

هل خلافاتنا الأسرية لها تأثير على سلوكيات أطفالنا؟

من الأمور الأكيدة أن طبيعة العلاقة بين الزوج والزوجة تؤثر على أطفالها ، فكلما كانت العلاقة طيبة ووثيقة ومتماسكة ويغلب عليها الاحترام والمحبة كلما أثر ذلك إيجاباً على شخصية الطفل وعلى سلوكه مع أسرته. وفي الجانب الآخر نجد اضطراب العلاقة الأسرية بين الزوج والزوجة، يؤثر سلباً على الأطفال مما ينعكس على سلوكياتهم ويجعلهم يشعرون بعدم الأمان والخوف من الانفصال أو الحرمان من الوالدين ، وهذا ربما يؤدي بدوره إلى سلوكيات شاذة، أو عدوانية نحو الآخرين أو الرغبة بالتخريب انتقاماً من الوالدين كلاهما أو أحدهما.

لماذا يتصرف الأطفال بطريقة مزعجة؟

الأطفال بطبيعتهم يحبون الحركة واللعب أغلب الوقت، وهذه الحركة لا بد أن تجلب بعض السلوكيات الخاطئة التي تزعج الوالدين . فالأطفال من خلال حبهم للاستكشاف، والتجريب يقعون في سلوكيات ربما لا تجد استحساناً من الوالدين ، وتصنف سلوكياتهم بأنها مزعجة

وهذا أمر طبيعي كما ذكرنا أن الأطفال لديهم القدرة والرغبة للعب والاستكشاف والتجريب، ومن المهم أن نوجه هذا الرغبة إلى سلوكيات منضبطة قدر الإمكان، وأن نحسن من توجيههم بحيث لا يقعون بالصعاب. بالتأكيد أن الأطفال يتأثرون بطبيعة الجو الأسري، فالأسرة المترابطة المحبة توفر لأطفالها بيئة جيدة يستطيع الطفل أن يلعب ويستكشف ويجرب دون أن يزعج الآخرين، والأسرة المضطربة نجد قسوتها في التعامل وشدتها في وضع القوانين تجعلها أسرة محبطة لا تقدر حاجة الأطفال لتفريغ طاقتهم، مما يسبب مزيداً من المشكلات بين الطفل وأهله، ويسبب العناد والشعور بالإحباط وربما قاد إلى سلوكٍ معادٍ للأسرة.

كيف نبني شخصية أبنائنا ؟

بطبيعة الحال أطفالنا بحاجة إلى أن نعرف الطريقة الصحيحة التي تساعدنا على معرفة الأسلوب الأمثل في تعاملنا مع أطفالنا بحيث نكون عوناً لهم في اكتساب السلوكيات والمهارات المناسبة للتعامل مع الآخرين ومن ذلك:

- ❖ التعامل معهم بما يكفل لهم الشعور بالاحترام والتقدير بداية من اختيار الاسم الجميل ، مروراً بحسن المعاملة وحسن التوجيه والتأديب.
- ❖ لا بد من بناء الثقة في النفس لدى أطفالنا، لكي يشعروا بالقدرة على التعامل الجيد مع أنفسهم والآخرين.
- ❖ أيضاً من المهم أن نشجعهم على الاستقلالية والاعتماد على النفس في تعاملاتهم اليومية ، وأن لا يكونوا معتمدين علينا بشكل كبير.

❖ كما أنه من المهم أن نعود أطفالنا وندريبهم على تخطي الفشل الذي ربما يواجهونه من خلال تعاملاتهم المختلفة وضرورة تحويل الفشل إلى نجاح.

❖ من المعلوم أن الوالدين هما الأفضل في توفير البيئة المناسبة لأبنائهم، فلا بد من توفير ذلك لأن لا أحد يستطيع أن يحل محل الوالدين في تربية أطفالهم.

❖ لا أحد يستطيع أن يفهم طفلك مثلك، وفهمك يؤهلك للتعامل مع طفلك بشكل جيد، فحاول دائماً أن تكون قريباً من طفلك، وأن تتعرف على دوافع تصرفات طفلك، وما طبيعة مشكلاته، لأن ذلك سوف يساعدك على التعامل معه بشكل فعال.

❖ في واقع الأمر لا توجد حلول سحرية أو مناسبة للتعامل مع جميع الأطفال، فكل طفل يعد حال خاصة، وكل موقف يعد حال خاصة أيضاً، لذا لا بد من مراعاة تلك الفروق وأن يتم التعامل بشكل مناسب لكل طفل ولكل موقف من المواقف المختلفة. كما أن الحال المزاجية للوالدين تنعكس بشكل كبير على أطفالهما، فما يزعج الوالدين ويسبب لهما الضيق سوف يزعج الأطفال ويشعرون به وينعكس ذلك على سلوكهم وحالهم المزاجية.

في الختام نجد أننا نحن من يؤثر على أطفالنا فكلما كنا واعين أكثر بطبيعة وحاجات أطفالنا كلما استطعنا أن نحسن التعامل معهم، وهنا نستطيع أن نؤكد على ضرورة التعامل الواعي المبني على الحب والإخلاص والتضحية لكي نؤسس بيئة سليمة لأبنائنا يستطيعون العيش فيها بشكل يضمن لهم تربية طيبة.

د. محمد بن عبدالله الخضيرى

إن المربين على اختلاف توجهاتهم ومشاربهم يسعون إلى إعداد الإنسان المستقيم وذلك من خلال توظيف أساليب التربية المناسبة في تحقيق معتقداتهم وأفكارهم، وعلى الرغم من أن كل علماء التربية يرون أن الهدف الرئيس من التربية هو إعداد الإنسان الصالح إلا أنهم يختلفون في تحديد مفهوم ذلك الإنسان الصالح، فالمربي المتشبع بالفكر المادي يسعى في تربيته للطفل على تثبيت الفلسفة المادية النفعية في نفس الطفل وعقله وسلوكه، وهكذا الحال في غيرهم من المربين، أما المربي المسلم فإنه يسير في تربيته وأفكاره إلى غرس الأساليب والقيم الربانية المستمدة من خالق هذا الكون والإنسان، وإن مما يفرض علينا مزيداً من الاهتمام بالتربية واختيار أنجح الأساليب هو ما نلاحظه من تسارع المتغيرات التي تصب في مصب حرف الكثير من الناشئة عن الصراط المستقيم ولعلي أعرض لشيء من أهم تلك الأساليب:

١- أسلوب التربية بالقدوة :

والقدوة من الأساليب المؤثرة في نفس المربي فالطفل في سنين عمره الأولى يُقلد تقليد الأعمى، فينبغي للمربي ملاحظة أن الطفل يدقق ويتابع كل حركاته وسكناته.

والقدوة الحسنة تسهم بشكل فعال في بناء شخصية الطفل في جوانب التربية الإسلامية جميعها من إيماني وصحي وخلقى واجتماعي وعقلي ونفسي.

وقدوة الطفل في البيت الوالدان وهما الأساس الذي يبني عليه الطفل كثيراً من الجوانب الأساسية في شخصيته، والطفل ينظر لكل عمل أو تصرف مقصود أو غير مقصود من الأبوين على أنه التصرف المثالي وهو الذي يجب أن يكون عليه المسلم الحق، فينبغي على الأبوين إذا أمرا الطفل بأي عمل أن يطبقاه على أنفسهما أولاً ثم على طفلهما وإذا نهياه عن عمل يجب أن لا يأتيا بعمل مثله، وعلى سبيل المثال إذا أمر الأب ابنه المميز بالصلاة وهو لا يصلي، أو يصلي لكنه يؤخر الصلاة أو يسرع في أدائها أو يتحرك كثيراً فإن الطفل يحاكي كثيراً من تلك التصرفات. والمعلم كذلك قدوة في المدرسة فلا يصلح أن يحث على الآداب والأخلاق الإسلامية ويعمل بخلاف ما قال ، لأن المعلم هو في الحقيقة مربٍ أولاً ثم معلم بعد ذلك.

٢- أسلوب الموعظة والإرشاد :

يعد أسلوب الموعظة مطلباً أساساً في تربية الطفل المسلم وينبغي على المربي العناية بهذا الأسلوب واستخدامه بكل عناية ورعاية وأن يكون فيه هيناً ليناً سهلاً لكي يصل إلى ما يرجو ويرغب ، وكلما ابتعد عن أسلوب الشدة والقسوة في الموعظة كلما حصل على نتائج أفضل قال تعالى [النحل

: ١٢٥] فالنصيحة عندما تكون صادقة حانية من القلب تؤتي ثمارها وتغير مجرى حياة الكبار قبل الصغار فينبغي للمربين من الآباء والأمهات والمعلمين والمصلحين أن يحرصوا على الصدق في كل كلمة وعلى حسن

الاختيار للكلمات التي تصدر منهم وعلى طريقة النصح وأن يجتنب
المربي والوالد والمعلم أن يكون النصح مثلاً في حضرة الناس أو أمام
أصحاب ذلك الطفل أو الشاب إنما يكون برفق ولين وفي حال انفراد وفي
وقت مناسب إلى غير ذلك مما يصاحب الموعظة الحسنة من وسائل
وأساليب تؤتي ثمارها بإذن ربها.

وعلى المربي أن لا يكثر من الوعظ لكي لا يصاب الطفل بالملل
والسامة لأن هذا يضعف أثر الموعظة بل إن الإكثار من هذا مخالف
لهدي النبي ﷺ يقول ابن مسعود رضي الله عنه : (كان النبي ﷺ يتخولنا
بالموعظة في أيام كراهة السامة علينا) رواه البخاري.

٣- أسلوب الثواب والعقاب :

وهما أسلوبان متضادان يختلف أحدهما عن الآخر : أسلوب

الترغيب والثواب وهو الوعد للطفل أو الشاب وإغراؤه بإنجاز عمل ما
وأنه يحصل من الله على الأجر الكبير في الآخرة ويرغب في إعطائه بعض
التشجيع. ولأهمية هذا الأسلوب التربوي فقد ورد ذكره في القرآن ومن

()

أمثلة ذلك قال تعالى

(نوح: ١٠-١٢).

()

()

وصح عنه (ﷺ) أنه قال : من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به
حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام
حرف: وميم حرف) رواه الترمذي وقال حسن صحيح، وهذا الأسلوب في
التربية ينقسم إلى قسمين : التشجيع المادي والتشجيع المعنوي.

ويستطيع المربي تحديد أي أسلوب للتشجيع المادي أو المعنوي
يصلح للموقف الذي يعيشه الطفل ويمكن للمربي أن يجمع بين أسلوب
التشجيع المادي والمعنوي في الوقت نفسه، وهذا يرجع إلى أهمية الموقف.

يقول الأستاذ محمد الخطيب : وينادي المربون باستخدام أساليب التشجيع المادي مع الأطفال في بداية الأمر إلى أن يكسب الطفل إدراك المعنى، فيصبح للمديح والشكر أثر يفوق الهدايا والجوائز، وعموماً فإن الجمع بين الأسلوبين مع الأطفال صغار السن أجدى، وينبغي على الآباء والمعلمين الوفاء بوعدهم للأطفال، لأن الإخلال بالوفاء بالوعد يفقد الأبناء ثقتهم بوالديهم أو معلمهم، الأمر الذي يؤدي إلى آثار سيئة في تربيتهم.أ.هـ.

٤- أسلوب الترهيب والعقاب :

وهو وعد يصاحبه تهديد بالعقوبة وتحذير من الأعمال التي تؤدي إلى الوقوع في المعاصي، ولأهميته ورد ذكره في عدة مواضع من القرآن الكريم قال تعالى :

[فصلت : ١٣].

قال تعالى :

()

() [مريم : ٧١،٧٢].

ولأهمية أسلوب الترهيب في العملية التربوية فقد استخدمه رسول الهدى (ﷺ) في المواقف التي تحتاج إلى بيان الوعيد أو التهديد. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره) رواه البخاري.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) : (قال إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً). متفق عليه.

وينبغي للمربي أن يلاحظ أن أسلوب الترهيب ليس هو الأسلوب الوحيد أو الأكثر استخداماً في التربية، لأن كثرة استخدامه يؤدي إلى ترك آثار سلبية في نفسية الطفل وشخصيته.

٥- أسلوب القصة:

تعد القصة من أهم أساليب التربية الإسلامية وليس أدل على أهميتها من ذكرها في القرآن الكريم في مواضع متعددة قال تعالى :

() [الأعراف : ١٧٦].

يقول الأستاذ عبدالكريم الخطيب : إن القصة كانت أول من صحب الإنسان في هذه الحياة وأنها كانت أقدم ما عرف من تصورات عقله، وصيد خواطر وطوارق أحلامه وهو اجيس رواته ... ولسنا مبالغين إذا قلنا إن أحداث القصة وخيالاتها وتصوراتها كانت أقوى قوة دفعت الإنسان إلى تحريك لسانه وإلى إيقاظ ملكاته وإطلاق جميع القوى الكامنة فيه أ.هـ.

وينبغي على المربين رواية القصص الصحيحة الهادفة بشكل مبسط وسهل لكي يستوعبها الطفل ويستفيد منها كما ينبغي للمربي أن يجنب الأطفال القصص الهابطة والتي قد يسمعا الطفل من غيره أو تلك القصص التي تدور أحداثها على العنف والجريمة.

٦- أسلوب ضرب الأمثال :

ينبغي للمربي أن يساعد الطفل في فهم الأشياء غير المحسوسة بتقريبها إلى فهمه بضرب الأمثال بالأشياء المحسوسة لديه.

وضرب الأمثال أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ وأقوى في الزجر وأقوم في الإقناع قال تعالى:

[العنكبوت : ٤٣]. وقد جاءت الأمثال في القرآن في أكثر من أربعين موضعاً
مما يدل على أهمية المثل في تربية الإنسان.
وضرب النبي لأصحابه العديد من الأمثلة في وعظهم وتذكيرهم
وتعليمهم فينبغي العناية بهذا الجانب والإجادة فيه.